بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ .د . جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد ،

فلقد أصبح من واجبنا أن نُعيد وصل شبابنا بتراثه الخالد، وعقيدته الراسخة الحرة، وشريعته السمحة، عن طريق توضيح موقف الوحي (قرآنا وسنة) من تنمية الشخصية الإسلامية ـ أفرادا وأسرا وجماعات وأمما ـ على تحمل مسؤولية الحياة المتكاملة إزاء النفس والغير في جميع الاتجاهات والزوايا، بحيث تتضح التزامات المسلم وضوحا بيّنا نحو ربه ودينه، ونفسه وأهله، وجيرانه وأمته، وسائر العلاقات التى تربطه بالحياة والأحياء والكون، من واقع النصوص القولية، والتطبيقات العملية التي باشرها سيدنا رسول الله ﷺ بهدف إرساء هذه الأصول والقواعد في المجتمع المسلم ، كأروع مجتمع تحققت له أسباب السعادة والطمأنينة، وانصهرت فيه مناشط الحياة كلها في قالب العبادة لله سبحانه، حتى بدت الحياة في إطار المسؤولية والجزاء، محرابا واسعا، يُعبد الله في كل أرجائه.

إن من واجب الأمة الإسلامية أن تعيش مرحلة التنمية بأسلوب جاد، ولا عاصم لها من الأخطاء، ولا سبيل إلى العمل الجاد في التنمية إلا باتباعها لهدى الوحي ومنهاج الإسلام، ومن حسن حظها أن تصاحبها في مرحلة النمو صحوة إسلامية متخصصة في مجال التنمية، تدعو إلى سبيل الله عملبا بحكمة وعلم وإيمان، واثقة في تأييد الله ونصره.

وقد قسم المؤلف هذه الدراسة إلى خمسة أبواب، جاء الباب الأول بعنوان (الإسلام والمسؤولية) حيث قسمه إلى أربعة فصول، **الأول منها** : تحدث عن دور القرآن والسنة في التكوين والتنمية للفرد والمجتمع، **والثاني** : تحدث عن تعريف المسؤولية، **والفصل الثالث** : تحدث عن عقم العقل وانحرافه، بانفصاله عن توجيه الوحي، بينما جاء الفصل الرابع من الباب الأول ليحدثنا عن أن القرآن يربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الدينية سلبًا وإيجاباً.

وجاء الباب الثاني تحت عنوان: (تمهيد موجز عن الحرية باعتبارها أبرز الملامح لتنمية الشخصية) ، وقسمه إلى فصلين، **الأول** : عن الحرية ، وطبيعة النشأة الإنسانية، وجاء **الفصل الثاني** : ليحدثنا عن كيف تنمو الإمكانات والقدرات ، وكيف تنمو بنموها المسؤولية عقليًا وعضويًا؟

أما الباب الثالث الذي جاء بعنوان (الإسلام وتنمية الجهد الإنساني وحمايته) فقد قسم إلى ثلاثة فصول، **الأول منها** : عن القرآن والسنة؛ لأنهما يعطيا وزنا حقيقيا للجهد الإنساني اختيارًا وسلوكًا، أما **الفصل الثاني** : فقد جاء عن كيفية تقديم الوحي للجهد الإنساني دون مواجهة بالمقدور والمكتوب، بينما جاء **الفصل الثالث** ليحدثنا عن حماية حرية الاختيار الإنساني وسعيه وعمله.

وجاء **الباب الرابع** بعنوان: مركز المسئولية الإنسانية بين مشيئة الله ومشيئة العباد، وقد قسمه المؤلف إلى خمسة فصول، **الأول منها** : تحدث عن المشيئة الإلهية وأثرها على الإنسان في نعمة الاختيار الحر، **والفصل الثاني** : عن مناقشة الاعتذار بالقدر والمشيئة، وجاء **الفصل الثالث** من هذا الباب : تكملة للفصل الثاني حيث تحدث عن المشيئة وخواتيم العمل، بينما جاء **الفصل الرابع** ليبين لنا وضوح إطلاقات كلمة المشيئة في القرآن الكريم، ثم تحدث المؤلف بإسهاب في الفصل الخامس من الباب الرابع عن النهى عن الكلام في القضاء والقدر.

وجاء الباب الخامس وهو آخر الأبواب، يحمل عنوان (منهاج علمي لتنمية الحرية والاختيار) حيث أوضح لنا المؤلف هذا المنهاج في ثلاثة فصول: **الأول** منها : يتحدث عن النية، **والثاني** : عن استغلال الشخصية، **والثالث** : عن الدعاء والاستعانة بالله، ثم تناول الجانب النفسي والجانب العلمي، ثم ختم بأدعية مباشرة لصالح المشيئة الإنسانية

ومما لاشك فيه أن التنمية للمجتمع المسلم، هو أن يكون هناك صحة في النفوس والعزائم، وسلامة في القلوب والبصائر، ورشادا في العقول والسلوك، فلا عمارة للحياة إلا بعنصر بشري سليم البناء، ولا يتحقق ذلك في إنسان إلا بمنهاج القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأنهما يُعطيا وزنًا حقيقيًا للجهد الإنساني اختيارًا وسلوكًا .

إن رابطة الجامعات الإسلامية وهى تقدم هذا الكتاب ضمن سلسلة فكر المواجهة، لتدعو الله العلي القدير أن يحقق الفائدة المرجوة من نشره ؛ لإنارة الطريق أمام العالم الإسلامي، والتعرض لمشكلاته الرئيسية، من خلال إثراء البحث العلمي ، ونشر كل ما هو مفيد ونافع للفرد والمجتمع.

والله من وراء القصد وهو يهدى سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

*****

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد :

فنحن فى عصر التنمية ، والأمم النامية ـ بوصفها هذا ـ أولى الأمم بالاستفادة من أخطاء الأمم المتقدمة ، ومن واجبها أن تعيش مرحلة التنمية بأسلوب جاد ، ولا عاصم لها من الأخطاء ، ولا سبيل إلى العمل الجاد فى التنمية إلا باتباعها لهدى الوحى ومنهاج الإسلام ، ومن حسن حظها أن تصاحبها فى مرحلة النمو صحوة إسلامية متخصصة فى مجال التنمية تدعو إلى سبيل الله عمليا بحكمة وعلم وإيمان واثقة فى تأييد الله ونصره .

وهذا الكتاب خطوة جزئية فى هذا الطريق ـ تعنى بالإنسان كعنصر أساس فى مشكلة التنمية ، ولهذه الجزئية ميزات عامة وخاصة عديدة ، هذه ثلاث منها :

أولا : علاقة هذه الجزئية بتنمية الشخصية الإنسانية على قواعد وأسس تستمد كيانها من صريح القرآن وصحيح السنة ، وتحت هذه الميزة مجموعة من الاعتبارات :

حاجة المسلم اليوم إلى معرفة هذه القواعد وتطبيقها نظرا لحالة الضياع والسلبية والضعف واللامبالاة والإحباط واليأس التى وضعت فيها عنوة شخصية المسلم يوم أن حيل بينه وبين مصدر قوته وعزته وإيجابيته وأمله بفصل منهاج الإسلام التطبيقى عن واقع حياته .

وضع زاد إسلامى أصيل بين يدى هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة رجاء تعميقها وترسيخها ، وبعدا بهذه الصحوة عن سطحية العواطف ، وأملا فى أن يجد

كل فتى طوق الإيمان قلبه ، وكل فتاة ، العزيمة الصحيحة ، والإرادة القوية ، والطاقة الموصولة ، والاستطاعة المباركة ، والسلوك الرشيد . .يجدان ذلك كله فى منهاج كامل محكم الحلقات واضح الخطوات يهدى به الله لنوره من يقرأ كتابه ، ويقرع بابه .

هذا المنهاج بعناصره وقواعده وأسسه كان مفقودا بهذه الصورة فى المكتبة الإسلامية ، حيث كانت بعض جزئياته مبعثرة فى كتب التراث هنا أوهناك . ولكنه كان كاملا واضحا محررا بالوحى قرآنا وسنة على يد خاتم النبيين عليه صلوات الله ، وللقرآن عطاؤه المتجدد ، والسنة المطهرة ردء له وظهير ، « والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

ثانيا : من البديهى أن الاقتصاد الإسلامى هو الاقتصاد الوحيد الذى يشترط لتنميته صلة عضوية مع البعد الأخلاقى والاجتماعى تشكل من الاقتصاد وأهدافه الاجتماعية والأخلاقية ملحمة واحدة لا تقبل التفكك . وإذا انفكت الأبعاد الأخلاقية عن الاقتصاد خرج عن كونه اقتصادا إسلاميا بلا نزاع .

وتقرر أحدث الكتب المتخصصة فى التنظيم أمرا يعتبر معجزة من معجزات الإسلام ، ذلك أن ما انتهى إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرنا بدأت آخر النتائج التى وصلت إليها أرقى المعارف الاقتصادية البشرية تتحسس الطريق إليه ـ أى إلى شمول التنمية الاقتصادية لبعض الأبعاد التنموية الاجتماعية ـ إيمانا من هؤلاء المتخصصين بأن التنمية الشاملة أجدى نفعا وأقوى أثرا فى التنمية الاقتصادية ذاتها .

وهذا المنهاج الإسلامى فى تنمية الشخصية الإنسانية ذاتيا من حيث الإرادة وحرية الاختيار وموهبة القدرة العقلية والعضوية وحماية ذلك كله بضمانات فطرية من هبة الله ، وتقرير ذلك فى القرآن والسنة موفور بتفصيل ودقة بما فى ذلك تحرير مشيئة الله ومشيئة عباده تحريرا جليا لا يدع مجالا لأى انتقاص من تنمية الشخصية

الإنسانية . هذا المنهاج يعتبر فى مجال التنمية الاقتصادية الشمولية حدثا علميا لحساب القرآن والسنة حين يتعرف عليه المتخصصون فى تجرد العلماء وحرصهم على الحقيقة ، كما يعتبر فى نفس الوقت فتحا جديدا فى مجال التنمية الاقتصادية الإسلامية .

ثالثا : ميزة خاصة ذات أثر على الطابع العام لهذه الجزئية ، ذلك أن الظروف التى أحاطت بكتابة هذه الجزئية لم تكن ظروفا إرادية ، فقد كنت خارج البلاد فى مهمة دينية كمبعوث لوزارة الأوقاف المصرية ، واقتضت واجبات الدعوة أن أقيم فى معسكر للشبيبة الإسلامية فى برازيليا ، ويبدو أن صحتى لم تتحمل الإرهاق الذى فرضته ظروف المعسكر ، ففوجئت بمرض شخَّصه الأطباء على أنه انسداد فى الضفيرة اليمنى بالقلب ، ومكثت تحت العلاج بغرفة العناية المركزة قرابة الأسبوعين ، طلب الأطباء بعدها فترة نقاهة فى مكان هادئ مع علاج تقليدى ورسم دورى للقلب بجهاز منقول يحضرونه حيث أوجد . وتوجهت وأسرتى للمكان الذى اختاروه على شاطئ الأطلنطى بعيدا عن كل شيء .

وكنت قبل المرض أعد رسالة عن : « المسئولية والجزاء فى السنة » سجلتها سلفا لنيل درجة الدكتوراة ، لكن الأحداث الصحية طغت عليها فأهملتها . وفى هذا الوقت الذى انقطعت فيه عن كل شئ حمل إلى البريد رسالة من صديق كريم بالمركز الإسلامى بالشارقة هو سعادة الأخ الفاضل الأستاذ محمود الشريف يطلب فيها معرفة شيء عن المسلمين فى هذه البلاد البعيدة ، وكان لهذه الرسالة والإجابة عنها فضل دعوتى إلى الكتابة من جديد . ولم يكن بصحبتى غير القرآن الكريم وصحيح البخارى من سنة رسول الله ﷺ . وكان هذا من فضل الله حيث بدأت كتابة أخطر قسم فى الرسالة دون الاعتماد على أى مؤثر من المراجع غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وتناولت أعقد المشاكل فى الشخصية الإنسانية عن الجبر والاختيار . وعلاقة المشيئتين القديمة والحادثة ، والمكتوب والمقدور ، وحرية الإنسان وعناصرها ، والتكليف ، والاستطاعة ، والإمكانات والطاقة ، ومعنى الاستدراج والمعونة والتيسير ، ومركز الجهد والعمل الإنسانى من هذه القضايا ، والحرص على استقلال الشخصية ، والمسئولية الفردية ، إلى آخر ما ينمى شخصية المسلم فى جميع الاتجاهات . كل ذلك بنصوص مباشرة الدلالة من القرآن والسنة .

والحق أن الوحى قرآنا وسنة عالج هذه المشاكل بأجرأ وأصرح الحقائق التى لم تترك شيئا غير محدد فى هذه المسائل التى تبدو غامضة معقدة وصعبة عندما تتناولها تآليف البشر .

وحين انتهيت من كتابة هذا القسم كان اقتناعى ورضائى به فى الذروة عقلا وقلبا فبادرت بوصية أبنائى أن يعملوا على نشره فيما لو وافانى الأجل قبل التمكن من نشره .

ولكن رغم هذا الرضا والاقتناع لا أكتم أننى كنت مترددا فى إبقاء هذا القسم كجزء من رسالة الدكتوراة لسببين :

أولهما : أن المسائل التى درج أهل العلم على علاجها علاجا تقليديا ، تجلت فى البحث ـ والفضل لكتاب الله والسنة ـ جديدة مبتكرة لا تمت للمناهج التقليدية وجمودها بصلة ، بل وضحت فيها شخصية الإنسان كمسئول له قدرة نامية عملاقة حرة ، وغالب علمائنا يقف من هذا اللون موقف الخصومة ، وقد صارحت بعض خلصائى بقولى : إن هذه الصفحات إما أن ترفض من أجلها رسالتى رفضا تاما ، وإما أن ترتفع بقيمتها ، ولا وسط بين الأمرين ؛ لأن ذلك يتوقف على نوعية هيئة المناقشة .

لكن لشدة اقتناعى قررت إبقاء هذا القسم فى لب الرسالة مهما كانت النتيجة .

ثانيهما : أن موضوع التنمية الذاتية للشخصية الإنسانية فى كيانها ووجودها وحريتها واختيارها وقدرتها وإمكاناتها وقراراتها وإرادتها ومشيئتها قد استوفاه القرآن والسنة استيفاء تفصيليا دقيقا وكاملا .

ولكن العرف العلمى جرى على تقييم الرسالة فى زاوية هامة من زوايا تقييمها بعدد المراجع التى أفادت منها ونوعيتها . وقد اعتبرت من وجهة نظرى ـ التى أظن أنها الحق ـ أن الاستقلال بالقرآن والسنة فى هذا القسم كان أعظم ميزة لهذا القسم من الرسالة ، فما هى وجهة نظر هيئة المناقشة فى ذلك ؟

وغضضت النظر عن هذه الملاحظة أيضا تحت عامل الاقتناع الشديد الذى أشرت إليه ، ولوجود المراجع العديدة المبثوثة فى بقية أقسام الرسالة .

ولشد ما كانت دهشتى عندما تكفل هذا الجزء من الرسالة الذى كنت أخشاه عليها ، تكفل بحملها على كاهله ليجتاز بها عند المناقشة أرحب الآفاق حيث يضعها عند أعلى درجة من التقدير يمكن أن تحصل عليها رسالة علمية ، فقد توجه النقد إلى كل أقسام الرسالة إلا هذا القسم الذى بين أيدينا فإنه حظى بإجماع الآراء ثناء مستطابا يحرج المرء من ذكره .

تلك ميزات ثلاث أحاطت بهذا الجزء من الرسالة فرشحته فى نظرى كى يكون لبنة فى أساس التنمية للمجتمع المسلم ، صحة فى النفوس والعزائم ، وسلامة فى القلوب والبصائر ، ورشادا فى العقول والسلوك فلا عمارة للحياة إلا بعنصر بشرى سليم النماء ، ولا يتحقق ذلك فى إنسان إلا بمنهاج القرآن . والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

د . حسن صالح العنانى